بقلم : احمد طلعت

الألف مدرسة ..... !

تصريحات المسئولين فى مصر تتسم دائما بالمبالغة ، سواء فى التفاؤل او التشاؤم ، فإما احلام وردية ، وإما ظلام وقتامة ومستقبل مجهول ....

إذا تحدثوا عن زيادة السكان تصور المستمع اليهم انها الكارثة ، وان ملايين الافواه المفتوحة تلتهم كل جهود التنمية ، وكل موارد البلاد ، وان (المجاعة) سوف تحل بمصر بين عشية وضحاها ...

فاذا دقق الناس فى ظاهرة زيادة السكان ، وجدوا ان نسبة الزيادة فى مصر طبيعية جدا فهى لا تتجاوز ٢,٦ ٪ وانها آخذة فى الانخفاض على عكس ماتقول به الحكومة . لكن تصريحات المسئولين لا تتحدث عن (نسبة) الزيادة ، لكنها فقط تتحدث عن (عدد) المواليد دون ان تطرح منهم اعداد المتوفين ، او تشير الى الاعداد الهائلة من العمالة المصرية التى تعمل فى الدول العربية والاجنبية وتحول مدخراتها الى مصر ، فتضيف الى الدخل القومى مبالغ طائلة بالعملات الحرة ...

والحكومة لاتتحدث عن فشل سياستها التعليمية التى ادت الى وجود بطالة بالملايين بين خريجى الجامعات ، مع وجود عجز شديد - بالملايين ايضا - فى العمالة المدربة وخريجى التعليم المتوسط .

الحكومة - فقط - تلقى كل المسئولية على الشعب الذى يزيد عدده ، لكنها لاتتحدث ابدا عن عجزها عن انتهاج سياسة تعليمية واقتصادية سليمة تؤدى الى الاستفادة من الزيادة فى عدد السكان لتطوير عملية الانتاج ، ومعروف ان اليد العاملة هى احد عناصر الانتاج .... ! !

الحكومة - فقط - نأست المفكر الانجليزى (مالتس) فى تشاؤمه حتى تتهرب من مسئوليتها عن فشل سياسة التعليم ، وفشل سياسة التنمية الشاملة ، رغم ان دولا اخرى - خصوصا فى آسيا - قد اعتمدت (اساسا) على زيادة السكان لتنمية اقتصادها ، رغم افتقارها الى المواد الخام ورؤوس الاموال ، ونجحت تلك الدول - باليد العاملة وحدها - فى منافسة الانتاج الصناعى للدول الغربية المتقدمة ...

هذا نموذج للتشاؤم الشديد الذى تعالج به الحكومة الفشل فى سياساتها ، وتحاول به ان تجد (شماعة) تعلق عليها هذا الفشل ، فتبالغ فى الحديث عن ظاهرة زيادة السكان .

اما بالمبالغة فى التفاؤل فمثالها التصريحات التى ادلى بها مؤخرا الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم وقال فيها ان وزارته سوف تقوم ببناء (الف) مدرسة قبل بداية اغسطس القادم .... ! !

وحكاية الألف مدرسة هذه تحتاج منا الى وقفة قصيرة ، فالمعروف ان الزلزال الاخير قد ادى الى انهيار مئات المدارس التى بنيت فى الفترة الاخيرة باستعجال وعدم دراسة ، خدمة للاغراض الدعائية دون النظر لسلامة المبانى ، او سلامة العملية التعليمية ذاتها . فكل وزير اراد ان (يصرح) بانه قد توسع فى بناء المدارس ، وبانه (اشطر) من الوزير الذى سبقه ، فكانت النتيجة تلك الاعداد الهائلة من المدارس التى بنيت باستعجاله على انقاض المواصفات الفنية والهندسية ، بل وعلى انقاض العملية التعليمية ذاتها ... فلما حدث الزلزال - مثلما يحدث فى كل انحاء العالم - انهارت المدارس التى اقيمت على عجل لاغراض الدعاية ، وبقيت المدارس التى اقامتها العهود (البائدة) والتى تحولت الى جامعات اقليمية ، مع انها قد اقيمت اساسا كمدارس ثانوية .... !!!

وبالرغم من ذلك ، فان الحكومة تريد ان تكرر المأساة من جديد ، وتعلن على لسان وزير التربية والتعليم انها ستنتهى من بناء الف مدرسة قبل شهر اغسطس القادم - اى فى اقل من سبعة شهور - مع ان اى عاقل يمكنه ان يفهم ان اقامة اى بناء تحتاج الى وضع الرسومات الهندسية وفقا لطبيعة الموقع ، ثم تحتاج الى دراسات لتربة الارض التى سوف يقوم عليها البناء وبعد ذلك تطرح العملية فى مناقصة عامة ، وتفتح المظاريف ، وتبدأ عملية اعداد الأرض ووضع الاساس ، وصب الخرسانة ، وانهاء المبانى ، والبياض ، واعمال الكهرباء ، والنجارة .... الى غير ذلك من الاعمال اللازمة فى اى بناء ... وهذا كله يستغرق سنتين على الاقل ، اذا اردنا لهذا البناء الا ينهار من جديد مع اول ضربة زلزال .... ! !